إلى من نذهب

القمص لوقا سيداروس

إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك

لقد سجل القديس لوقا الإنجيلي أن الرب بعدما قام من الأموات وأظهر نفسه لرسله القديسين ببراهين وشواهد ملموسة مرات ومرات. ظل يتراءى لهم أربعين يوما وهو يتحدث معهم عن الأمور المختصة بملكوت الله، ولم يسجل أحد ما هي تفاصيل هذه الأحاديث ولكن الكتب المنقادة بالروح القدس والممتلئة فيه وبه، من خلال معلمي البيعة الملهمين والآباء الممتلئين من حكمة ونعمة الروح... رتبت هذه القراءات التي يحياها المؤمنون في هذه الفترة، وقتها يدرك المؤمنون ما هي الأمور المختصة بملكوت الله.

والواقع أن الملكوت وحياة الدهر الآتي استعلن في شخص المسيح، لأنه إذ قام من الأموات صار هو حياتنا وهو قيامتنا ففيه كانت وتكون الحياة "والحياة هي نور الناس".

لذلك كانت القراءات كلها من إنجيل القديس يوحنا وهو اللاهوتي الذي كتب محلقًا ومحدقًا في الإلهيات.

وهكذا استعلن المسيح نفسه مقدما ذاته لنا لكي نلمسه ونحسه ونراه ويكون لنا شركة معه. وعلى مستوى الشركة أيضا قدم نفسه خبز الحياة. ثم في الأحد الذي يليه ماء الحياة الأبدية. ثم في هذا الأحد نور العالم. وعلى كل حال فالمسيح هو قوام الحياة الأبدية وقيامها- فمن له شركة معه- فإنه يحيا به ويقوم فيه... لأن فيه يقوم الكل.

على هذا فإن إنجيل العشية يضع المسيح- كما قدم نفسه للجموع كمأكل حقيقي لكي يحيوا به إن أرادوا- ولكن إذا رفضوه متعللين بالمعقولات "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله" وقد أعفوا أنفسهم ورفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم وخرجوا خارج نطاق النور والحياة بحسب إرادتهم... لذلك سأل الرب

التلاميذ "أتريدون أنتم أيضا أن تمضوا؟" وهنا رد القديس بطرس بتلقائية عجيبة، قائلاً: "يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك".

إذن صارت تبعية المسيح ضرورة واجبة. وصارت التلمذة للمسيح طريقًا واحدا، لا توجد غيرها، ووسيلة واحدة مؤدية إلى الحياة الأبدية لا بديل عنها... "إذ ليس بأحد غيره الخلاص". ولا يوجد اسم آخر تحت السماء أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص إلا اسم يسوع.

قال جماعة اليهود "هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه ومن تلك الساعة رجع كثير من تلاميذه إلى الوراء"- أي ارتدوا ولم يعودوا يمشون معه- يوجد الارتداد منذ البداية، فكثيرون يبتدئون ولكن لا ينهون المسيرة بل في وسط الطريق يرتدون راجعين إلى سيرتهم الأولى.

وكثيرون بدأوا بالروح ثم أكملوا بالجسد، "وكثيرون من الذين كنت أذكرهم لكم أذكرهم الآن باكيا وهم أعداء صليب المسيح". وكثيرون كما يقول الرسول عن ديماس "تركني إذ أحب العالم الحاضر".

ولكن ركز نظرك نحو هؤلاء الذين تبعوا الرب إلى النهاية، "يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك"، "أنتم الذين رسم أمام عيونكم يسوع المسيح وإياه مصلوبا"، "جعلت الرب أمامي في كل حين".

"كثرت أمراضهم الذين ذهبوا وراء آخر" هكذا يقول المزمور.

سيدي سأتبعك حيث تمضي.

سر ورائي وكن كاملاً.

أتبعك حتى إلى الجلجثة بأمانة وإيمان.